



"من الثمرة تُعرف الشجرة" (متى ١٢: ٣٣)

فرحنا الروحي العميق باليوبيل المئويّ لمدرستنا فال بار جاك، يدفعنا إلى وقفة تأملية نلقي فيها نظرة على الماضي، ونرفع الشكر بادئ ذي بدء لله تعالى الذي أغدق علينا وافر نعمه، وألهم الطوباويّ أبونا يعقوب، مؤسس جمعيتنا الرهبانية، إنشاء هذا الصرح التربويّ، مستقيماً من ينباع الإنجيل وتعليم الكنيسة. ومن ثمّ، نشكر كلّ الأشخاص الذين سبقونا، من أخوات تعاقبن على رئاسة هذه المدرسة، ومن كهنة وأساتذة ومعلّمات وإداريّين، رفاق الدرب التربويّ الطويل، وجميع الذين ضحكوا وما زالوا يضحون على مرّ السنين، ليرفعوا هذا البنيان، بشراً وحجراً؛ إذ ما انفكوا يعيشون موهبة التأسيس، محافظين على الروحانيّة اليعقوبية التي بُني عليها هذا الصرح العلميّ العريق، جادّين في تحقيق إنجازات تربوية حميدة، متخطّين كلّ الصعوبات، وواضعين نصب عيونهم الأهداف السامية التي تأسست عليها.

إنّ العودة إلى الماضي تساعدنا على عيش الحاضر بشغف وعلى تفحص رسالتنا التربوية، لنرى إلى أي مدى ما زلنا أمينين لروح مؤسّسنا الطوباويّ أبونا يعقوب، الذي بنى مشروعه التربويّ على أساس المدرسة والعائلة والكنيسة والوطن، مركزاً على أهميّة دور المدرسة الكاثوليكية التي تغذي إيمان تلامذتها، وتؤهلهم لعيش التزاماتهم المسيحية في قلب الكنيسة، وواجباتهم الوطنية بضمير حيّ ومصادقية. هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ الفكر التربويّ لمؤسّسنا الطوباويّ أبونا يعقوب يلتقي مع ما يدعو إليه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في إرشاده الرسوليّ: رجاء جديد للبنان: "إنّي أشجّع المؤسّسات التربوية على متابعة أعمالها في خدمة الشباب، المحتاجين إلى الحصول على الأسس الثقافية والروحية والخلقية، التي ستجعل منهم مسيحيين ناشطين، وشهوداً للإنجيل ومواطنين مسؤولين في بلدهم" (رجاء جديد للبنان، ١٠٦). وهنا لا يسعني إلّا أن أوكد بأنّ هذه المدرسة، بقيت عبر مسيرتها، من بيت أمين في جلّ الديب، إلى مدرسة مار فرنسيس، إلى صرح فال بار جاك، كما أرادها المؤسّس، نبعا معطاءً في روحانيّتها وأدائها التربويّ المسيحيّ، الوطنيّ والعلميّ.

فعلى مدى مئة سنة، ما برحت مدرستنا تزرع العلم والفضيلة والأخلاق من جيل إلى جيل، وقد أعطت لوطننا لبنان أعلاماً في العلم والمعرفة وأبناء مسؤولين في الدين والدنيا، فلمعوا وما زالوا يلمعون في مختلف الميادين والحقول.

وقد سهرنا دوماً على تعزيز الشراكة مع الأهل في تربية النشء كما يعلمنا مؤسسنا الطوباوي أبونا يعقوب: "على الوالدين والأساتذة أن يحاربوا، بسيف غيرتهم ونشاطهم، رذيلة الكسل؛ ويربّوا البنين والبنات تربية صالحة، حتى لا يحاربوا الهيئة الاجتماعية، فإنّها تكاد تخرب خراباً روحياً وأدبياً، وقد تعرّت من التربية الحقّة" (الطوباوي أبونا يعقوب). إذ إنّ التربية هي مسؤولية مشتركة بين الأهل والمدرسة.

يساعدنا التجذّر في الماضي أيضاً على أن نلقي نظرة إلى المستقبل، لنرى كيف يمكننا أن نحافظ على الشعلة التي تسلمناها من مؤسسنا الطوباوي أبونا يعقوب، وننميّ الشجرة التي زرعها الله في حياته، لنثمر حباً وعطاءً وخيراً على مرّ السنين، مجتهدين في تطوير نوعيّة العمل التربويّ فنساهم في بناء حضارة إنسانية متكاملة مبنية على المحبة، على خطى مؤسسنا الطوباوي أبونا يعقوب، الذي سار الدرب على طريق المعلم الأكبر يسوع المسيح، جاعلاً همّه الأوّل تنشئة الأولاد على معرفة الله ومحبته وعلى الفضيلة والعلم. فهو الذي يؤمن بأنّ "الإنسان يشبه حقلاً، إنّ تأخّر زرعه، تأخّر نموّه" (الطوباوي أبونا يعقوب). مدرستنا أمانة بين أيدينا، تتطلّب منا السعي والسهر لبناء الإنسان في كلّ أبعاده بطريقة متناغمة ومتّزنة.

في مطلع اليوبيل المئويّ لمشروعنا التربويّ هذا، نجدّد إيماننا ومحبتنا ورجاءنا بوعود الله لتظلّ مدرستنا موئلاً للمحبة وصرحاً للعلم والثقافة.

إنّنا إذ نشكر الله على كلّ الثمار وكنوز البركات التي أغنت تاريخ مدرستنا وساهمت في نجاح مشروعنا التربويّ، نشكر بشكل خاصّ، كلّ الذين ساهموا في وضع هذا الكتاب الوثائقيّ، ونلتمس منه تعالى أن يمنحنا القوّة والحكمة والتدبير لنتمكّن من الاستمرار في خدمة الإنسان والمجتمع والوطن، وفي الشهادة لقوّة محبته الإلهية على مثال مؤسسنا الطوباوي أبونا يعقوب، فنساهم في بناء مستقبل مشرق للأجيال الصاعدة زاهر بالعطاءات والنجاح.

بقنّايا، ٠٢ آب ٢٠١٩

الأخت جانيت أبو عبد الله  
الرئيسة العامة لجمعية راهبات الصليب  
الديب - كنيسة